مقياس الأدب الشعبي العام

عنوان الماستر: أدب عربي حديث ومعاصر

السداسي: الأول

اسم الوحدة: وحدات التعليم الأساسية(02)

اسم المادة: أدب شعبي

الرصيد: 05

المعامل:03

المحاضرة الأولى والثانية

توطئة /مدخل:

باسم الله الرّحمن الرّحيم، والصّلاة والسّلام على أستاذ الأساتذة الأوّلين سيّدنا ومولانا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

شذاةَ العلم وطلابَ المعرفة السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، يطيب لي أن أتجاذب وإيّاكم موضوعا ذا بال أراه حساس، إنّه الأدب الشّعبي العام.

ذو بال لأنّه يتعلّق بتراثنا اللاّمادي كما يطيب للبعض تسميته، ولا أحسب أمّة من الأمم تخلو منه أو ينعدم عندها، وبحاضرنا لأنّه يمثّل وسيلة من وسائل التّخاطب في حياتنا اليوميّة ويجسّد بصدق ظاهرة التّبادل في معادلة التخاطب، ويحمل دلالات لا غنًى لنا عنها في التّعامل على جميع الأصعدة؛ الاقتصادية

والاجتماعية والثّقافية والأخلاقية والإيديولوجية وغيرها، وبمستقبلنا لأنّه يمثل روح الجماعة في طيّاته القائم على مبدإ الوحدة بمفهومها الواسع، ويحثّ على تحفيز المجتمع نحو الأفضل في المعاملات والأهداف الكبرى الأساسية للرّقي والتقدّم، وببساطة يرسم المصير المشترك.

ولهذه المعاني الجليلة وغيرها كسب أهميّة كبرى في دراسات علم الأناسة أو الأنثروبولوجيا[1] –Anthropohogie– والإثنولوجيا[2] –Ethnologie– استغل من قبل الدول الغربية كوسيلة لفهم عقلية الشعوب ومن ثمّ احتلالها وغزوها ثقافيا.

ولهذه الأهميّة أُتُصِف بالحسّاس لما له من دور بارز في فهم الشعوب وهيمنة عليها. وأحسن ما ورد في هذا الصدد جاء في كتاب "الأدب الشعبي الجزائري" لـ: أ. د. عبد الحميد بورايو، ص ص 7– 20.

ونعالج بحول الله تعالى بعض التناقضات التي تلفّ عنوان المقياس "الأدب الشّعبي العام" والتّي يمكن أن نجزّئها على هذا النّحو:/الأدب/الشّعبي/العام/.

كما ونقف على مناقشة تعريف الأدب الشّعبي في الكتب التّي تناولته بالدّراسة، وما

1– كلمة يونانية، علم يدرس أصل النوع الإنساني، والظواهر المتعلقة به، وثقافته ...

2–كلمة يونانية تعني علم الأجناس البشرية وطبائعها وأخلاقها. وهو جزء من الانتروبولوجيا.

ركب فيها أساتذتنا خلاف الصّواب وما طرأ عليها من سهو أو نقص أو خلل.

ونحن بهذا لا ندعو إلى الدّارجة واستعمالها في الكتابة، أو نغري بإحياء ما اندثر منها – فذلك ما يسعى إليه حثيثا كثيرٌ من المستشرقين لفصم عُرَى اللّغة العربية، حتّى يبتعد العرب عن منبعهم الرّوحي الذي هو القرآن الكريم والسُّنّة النّبوية الشّريفة. إنّما نريد بهذا البحث دراسة عملية قائمة على التّطلع إلى المعرفة الهادفة.

الإشكالية/ الفرضية:

يعدّ الأدب الشّعبي العام جزءاً هامّا من التراث الشّعبي اللاّمادي، بالإضافة للتّراث المادي كالرّقص الشّعبي والفانطازية – ركوب الخيل– الصّناعات الشعبية من أواني طينية وفخارية والنّقش على النّحاس وصناعة الحليّ والزّرابيّ وغيرها.

ويتضمّن هذا الأدب أشكالا مختلفة منها الشّعر وأغراضه من وصف ومدح وفخر وغزل وشعر ثوري. ومنها النّثر المتمثّل في القصّة الشّعبية وأنواعها والحكاية الشّعبية والحكاية الخرافية الشّعبية بما فيها المغازي والأساطير والمثل والحكمة و اللّغز والنّكتة الشّعبية والأغنية الشّعبية.

غير أنّ الدّارسين لهذا الأدب قد اختلفوا فيه اختلافاً كبيراً حول التّسمية والتّعريف وذهبوا فيه شماطيط، وسنحاول التّعرّض لهذه الآراء المدعّمة بحجج أصحابها لثلّة من النّقاد الذّين كانوا الأوائل في هذا الميدان، ونبوا على تلك الحجج المصطلح.

تعريفات الأدب الشّعبي: ما الأدب الشّعبي؟

1- عند د/حسين نصار[1] :

يعدّ أوّل من استعمل مصطلح الأدب الشّعبي وأخذه عليه غيره، في كتابه الشعر الشّعبي العربي على أنّه «الأدب المجهول المؤلف، العامي اللغة، المتوارث جيل بعد جيل، بالرواية الشفوية»[2].

يحتوي هذا التعريف على أربعة شروط للمصطلح هي:1/ جهل المؤلف. 2/ اللغة العامية. 3/ التوارث جيل بعد جيل. 4/ الرواية الشفوية.

ويقرّ الدكتور أنّه أخذ التّعريف من الغرب، من كلمة "فلكلور" "FOKLORE" إذ يقول: «الغربيون تنبّهوا إلى هذا المفهوم، وأعطوه اسمه – يعني لفظ فلكلور– ثمّ استعرنا نحن هذا المفهوم، وأعطيناه اسما عربيا »[3] يعني الأدب الشّعبي.

مناقشة التعريف:

1-2- د. حسين نصار: الشعر الشعبي، منشورات إقرأ، ط2،1980، ص11.

كان عميد كلية الآداب بالأزهر الشريف سابقا –رحمه الله–.

3- نفسه، أخذه من قاموس المصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، تأليف إيكه هولترانس– Ake Hultkrantz– 1980. أستاذ علم الأديان المقارن بستوكهولم بالسويد. ترجمة د. محمد الجوهري ود. حسين الشامي، ط1، 1972، دار المعارف بمصر، ص ص 279 وما بعدها.

هذا التّعريف الذّي رضي به نقاد العرب والأدباء على حدّ سواء، لم يسلم من النّقد لدى البعض القليل منهم، وناقشوه مفصّلا ومجزّأ، وننقل لكم نقدهم:

1/ جهل المؤلف: بكسر اللام، هناك كثير من القصائد العربية الفصيحة لا نعرف أصحابها حقيقة بل تُعْزَى فقط، كما هناك كثير من الأدبيات الشّعرية العربية الفصيحة اختلف النّقاد والمؤرّخون للأدب العربي في نسبتها. وعلى سبيل المثال لا الحصر بعض الأبيات المستشهد بها في علوم النّحو والصّرف والبلاغة والعروض.

فهل جهلنا للمؤلّف يبيح لنا أن نجعل هذه القصائد والأبيات ضمن الأدب الشّعبي؟

بالطّبع تقولون لا. ونحن نعلم يقينا أنّها كانت ولا تزال من الأدب العربي الفصيح.

2/ اللغة العامية: هي اللّغة العربية التّي فقدت الإعراب والصّرف في نطقها. وهي التّي يتكلّمها العامّة جميعا، لغة الأمّي والمتعلّم أي لغة كلّ الفئات الاجتماعية على اختلاف مكانتها في المجتمع الجزائري، وتحمل بعض الاختلافات لهجيّة تعود أساسا إلى الموقع الجغرافي، لذا نسمع كثيرا هذه العبارة "كيش تقولوا لها أنتم" في كلامنا اليومي حين نسافر أو ننتقل من الشّرق نحو الغرب أو من الشّمال نحو الجنوب وتداهمنا عبارة أو كلمة توقف التّواصل بيننا، فهذا الاختلاف في العاميّة هو ما نسمّيه لهجة، وعليه هي تنوّع للعاميّة. ويعرّفها "جون ديبوا" – J.Dubois– وآخرون بقوله:

«Le dialecte est une forme d'une langue qui a son système lexical, syntaxique et phonétique propre est qui est utilisé dans un environnement plus restreint que la langue elle-même. »[1]

« اللّهجة شكل من أشكال لغة ما، لها نظام خاصّ على المستوى المعجمي، والتّركيبي والصّوتي، وتستعمل في محيط ضيّق بالمقارنة مع تلك اللّغة نفسها».

وكانت هذه اللّهجات المادّة الطبيعية للأدب الشّعبي، وبتنوّعها المعجمي تنوّع أدبها شعرا ونثرا. وتفرعت منها الأنواع الأدبيّة كلّها.

3/ التّوارث جيل بعد جيل: هذا الرّكن أو الشّرط في تعريف الأدب الشّعبي محلّ تأمّل ومناقشة، إذ يقتل الأدب الشّعبي الحديث أو المعاصر كلّه. ونقول لصاحبه أنت لست أديبا شعبيّا إلا بعد قرون حيث يتوارث أدبك أجيال. أيعقل هذا؟ لم يسلم هذا

1- J. Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique, Libraire Larousse, 1973, p 149.

وأنبه بالمناسبة إلى أنّ الدكتورة سهام مادن في كتابها النفيس والجديد في موضوعه، الموسوم بـ: الفصحى والعامية وعلاقتها في استعمالات الناطقين الجزائريين، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، في ترجمتها لتعريف اللهجة من القاموس المذكور أعلاه: «اللهجة شكل من أشكال اللغة، لها نظام خاص على المستوى الافرادي...» ص33. فترجمت لفظ –Lexical– بالافرادي، فركبت فيه خلاف الصواب، وتصحيحه: معجمي. ولو قالت على المستوى المفردات لكان أصوب.

العنصر من النّقد حيث يقول الأستاذ الدكتور محمد سعيدي: «... لقد استثنى من فضائه ذلك الأدب العامي المسجل والمذاع عبر وسائل حديثة كالطباعة، الإذاعة، التلفزة، المسرح والسينما... كما أخرج من فضائه ذلك الأدب الشعبي معروف المؤلف، بحيث نسمع ونقرأ يوميا أعمالا شعبية من قصص وحكايات وأشعار لأدباء شعبيين معروفين وحرصين على تدوين أسمائهم واقترانها بأعمالهم الإبداعية...»[1] .

وفي الخاتمة الموقّعة على سبيل المثال لا الحصر هي التي يذكر صاحبها اسمه ولقبه وكنيته، أو اسمه ولقبه، أو اسمه كنيته، فهو حر في ذكر ذلك. وهذا ما أشار إليه الدكتور شعيب مقنونيف في قوله:"... وأما توقيع القصائد، الذي يلازمه – حرف الهاء يعود على الشعر الملحون– في الغالب، فيمثل كذلك سمة لدى شعراء الملحون متقدّمين كانوا أم متأخّرين. ويكون التوقيع بالتصريح بالاسم كاملا مع ذكر الكنية..."[2] ويستدرك الدكتور مضيفا: " ويكفي بعض الشعراء وهم يوقّعون قصائدهم بالإشارة إلى نسبهم أو قبيلتهم أو موطنهم"[3] .

والغاية من ذلك كلّه هو إثبات شخصيته الفنية "على سبيل الافتخار وإظهار البراعة

1- سعيد محمد: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998، ص10.

2- شعيب مقنونيف: مباحث في الشعر الملحون (مقاربة منهجية)، منشورات مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر،2003،ص130.

3- نفسه، ص132.

الشعرية".[1] والشاعر يعرف مسبقا أنّ قصيدته ستنتقل من مكان لآخر من أفواه الرواة والحفظة، وانتشارها في الأسواق بين الحُلَق والبيوت حتّى. ولهذا تجده حريصا الحرص كلّه على ذكر اسمه في خاتمة القصيدة أو ما يدلّ عليه بطرق مختلفة.

4/ الرواية الشفوية: عرفها الجاهليون قبل الإسلام والراوي عندهم ناقل الحديث بالإسناد كما سمعه شفاها من غير كتابة بأمانة تامة معتمدا على قوة ذاكرته، « أي الذي يخبر المستمعين بما سمعه عن الآخرين، مع ذكر أسماء هؤلاء تأكيدا لصدقه، وتَبرُّؤًا مما قد يؤخذ على الحديث من نقص أو تشويه»[2] ويروي حكايات وقصصا وينقل أخبارا من أيام العرب وأخبار القبائل وأمثالهم وقصائد شعرهم. «ولقد كان لكل شاعر من العرب راوية أو رواة، يحفظون أبياته، ويتحولون إلى نوع من الدواوين الحية.»[3] وكان الجاهلون يعتمدون الرواية الشفوية في نقل الآثار الأدبية لأنهم كانوا قوما أميين لا يعرفون الكتابة والقراءة إلا عدداً قليل منهم.

ظهرت هذه الرواية كما يفهم مما سبق مع ميلاد الشّعر العربي، بل قبله مع أيام العرب وحروبهم. وبفضل الرواة الصادقين ظهرت الدواوين الشعرية، وكان لهم فضل كبير في حفظ النصوص الأدبية، وفي تقدم الأدب والعلوم اللغوية. ولعل من أبرز الرواة أبا عبيدة مَعمرَ بنَ المثنى، وأبا سعيد عبد الملك الأصمعي، وابنَ سلاّم الجُمَحيّ، وأبا زيد القرشيّ والمفضل الضبيّ، وغيرهم كثير.

1- نفسه، ص134.

2و3- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط2، 1984، ص120.

وظهرت الرواية بقوّة بعد مجيء الإسلام واستمرت رواية الشّعر والنّثر في صدر الإسلام واتّسعت الرّواية في العصر الأموي وتجاوزت الأدب إلى رواية قراءات القرآن، كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ. ومدلول القراءات كما في المعجم المفصل «هي اختلاف قبائل العرب بلحونٍ مختلفة كالفتح، والإمالة، والإظهار، والإدغام، والمدّ، والقصر، وترقيق الحروف، وتفخيمها...»[1].

وعددها سبعة تفرعت عنها قراءات أخرى. وكان بعض الصحابة يقرِؤون القرآن منذ عهد النبي منهم رضي الله عنهم أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب وغيرهم.

والرواية الشفهية في نقل الحديث النبوي الشريف والإلمام بطرق أسانيده أشهرها على الإطلاق وهي كل ما حكي عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير. بل منه ما يسمّى باسم الآثار وهي ما رواه الرواة عن خُلقه أو علمه أو لباسه أو في شأن من شؤونه.

ومما سبق هل يجوز لنا أن نطلق على هذه اسم الأدب الشّعبي لأنها كانت تعتمد على الرواية الشفوية؟

1- د. محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العملية، لبنان،ط2 ، 1999، ص ص 702-703.

تطبيقات:

1- ناقش (ي) هذه العبارة: "الشّعر هو قبل كل شيء هو تصوير لعواطف إنسانية تزدحم بها النّفس الشّاعرة، وتندفع على لسان الشّاعر لحنا خالدا يصوّر صلته بالعالم والكون من حوله." د.شوقي ضيف، الأدب العربي، ص 57.

2- علّق (ي) على عبارة الدّسوقي في كتابة دراسات، ص9 : " الرّواية هي خيالية، منظومة أو منثورة، بعيدة عن الحياة الواقعية، أو هي القصّة الخيالية المليئة بالعجائب والغرائب ذات الأسلوب الإبداعي الطّليق."

3- ما الفرق بين الرّواية – لا نقصد بها الجنس الأدبي- كعلم والرّواية كَفنٍّ.

4- اذكر (ي) أشهر الرّواة للحديث النّبوي الشّريف بالتّرتيب الزّمني.

5- قال ابن خلدون في مقدمته : "أما إفريقيا والمغرب فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم لِوُفور عمرانها بهم،... فغلبت العجمة فيها على اللسان العربي الذي كان لهم، وصارت لغة أخرى ممتزجة".

ناقش (ي) العبارة مركزا (ة) على اختلاط اللغات وما ينتج عنه. وظاهرت تداخل اللغات.